

معجم البلدان

صلاح الدين يوسف بن أيوب قد اعتنى بها بهمته العالية فعملها بعمارة عادية وحفر خندقها وبنى رصيفها بالحجارة المهندمة فجاءت عجا للناظرين إليها لكن المنية حالت بينه وبين تتمتها ولها في أيامنا هذه سبعة أبواب باب الأربعين وباب اليهود وكان الملك الظاهر قد جدد عمارته وسماه باب النصر وباب الجنان وباب أنطاكية وباب فنسرين وباب العراق وباب السر وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه أدباء وشعراء ولأهلها عناية بإصلاح أنفسهم وتثمير الأموال فقل ما ترى من نشئها من لم يتقيل أخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة ويتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان وقد أكثر الشعراء من ذكرها ووصفها والحنين إليها وأنا أقتنع من ذلك بقصيدة لأبي بكر محمد بن الحسن بن مرار الصنوبري وقد أجاد فيها ووصف متنزهاتها وقراها القريبة منها فقال احبسا العيس احبساها وسلا الدار سلاها واسألا أين طباء ال دار أم أين مهاها أين قطان محاهم ريب دهر ومحاه صمت الدار عن السائل لا صم صداها بليت بعدهم الدار وأبلاني بلاها آية شطت نوى الأطعان لا شطت نواها من بدور من دجاها وشموس من ضحاها ليس ينهى النفس ناه ما أطاعت من عصاها بأبي من عرسها سخ طي ومن عرسي رضاها دمية إن جليت كانت حلى الحسن حلاها دمية ألقى إليها راية الحسن دماها دمية تسقيك عيناها كما تسقي مداها أعطيت لونا من الورد وزيدت وجنتها حبذا الباءات باءت وقويق ورباها بانقوساها بها باهى المباهي حين باهى وبباصفرا وبابا لا ربا مثلي وتاها لا قلى صحراء نافر قل شوقي لا قلاها لا سلا أجال باسل لين قلبي لا سلاها وبباسلين فليب غركابي من بغاها وإلى باشقليشا ذو التناهي يتناهى